حظي الحديث النبوي الشريف باهتمام العلماء المسلمين منذ العصور الأولى، فالأمة الإسلامية لم تهتم بشيء بعد اهتمامها بكتاب الله عزّ وجلّ قدر اهتمامها بحديث الرسول الكريم صلى الله علبه وسلم وسعيها في ذلك السعي العجيب الفذ.

وانطلاقا من كون السنة النبوية الركن الثاني لهذا الدين العظيم، وما لذلك من آثار وخلفيات، فإن علماء المسلمين منذ السنوات الأولى لفجر الإسلام وعلى مرّ العصور واختلاف الدهور، عرفوا مكانتها وعظم شأنها حق المعرفة فرحلوا من أجلها، وحفظوها، واستنبطوا منها الأحكام الكثيرة في جميع أمور دينهم ودنياهم، وعظموها أيما تعظيم. فأظهروا الولاء لأهلها، وأعلنوا الحرب على أعدائها، ووقفوا عند حدودها، وصدقوا بأخبارها، وآمنوا بمعانيها، واستدلوا بها، وتلقوا منها، ثم نقلوها إلى الأجيال صافية نقية كما وردّوا عليها، فسارت على ذلك أجيال وقوافل كثيرة لا يحصيها إلا الله.

ثم جاء جيل تدوين السنة وكتابتها في دواوين الإسلام، فأعطوا السنة ما تستحقه من التعظيم والإجلال، والحفظ والصيانة واعتنوا بها عناية فاقت كل عناية. فألفوا الدواوين كالصحاح والسنن والمعاجم والمسانيد والأجزاء واعتنوا بالحديث سندا ومتنا. ثم توالت المصنفات بالظهور تبعا من النصف الثاني القرن الهجري الثاني حتى كان القرن الهجري الثالث. وهو عصر الازدهار في مؤلفات الحديث وكان أبرزها الكتب الستة وهي:

* الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (256هـ).
* الجامع الصحيح لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (261هـ).
* السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث السجشالي (275هـ).
* السنن لأبي عيسى بن سورة الترميذي (ت 279هـ).

* السنن لابن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 275هــ).

ويعتبر الكتابان الأولان "الجامع الصحيح" لأبي عبد الله البخاري و "الجامع الصحيح" لمسلم أصح كتابين بعد القرآن الكريم لأن مؤلفيهما اشترطا لإخراج الأحاديث فيهما شروطا خاصة لم تتوفر في غيرهما من المؤلفات. ويعد الإمام البخاري مقدّما على الإمام مسلم في قوة هذه الشروط.

فهو الإمام الجليل والمحدث العظيم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي أمير أهل الحديث وصاحب أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، ولد سنة 194هــ بخرتنك قرية قرب بخارى، وتوفي فيها سنة 256هــ [1].

فهو حافظ الإسلام وإمام أئمة الأعلام، توجه إلى طلب العلم منذ نعومة أظافره، وبدت عليه علامات الذكاء والبراعة منذ حداثته، فقد حفظ القرآن منذ صباه ثم استوفى حفظ حديث شيوخه البخاريين ونظر في الرأي وقرأ كتب ابن المبارك حين استكمل سن 16سنة.

رحل في طلب الحديث إلى جميع محدثي الأمصار، وكتب بخراسان والعراق، والحجاز والشام، ومصر وغيرها، وسمع من العلماء والمحدثين، وأكبّ عليه الناس وتزاحموا عليه ولم تنبت لحيته بعد [2].

وقد كان غزير العلم، واسع الإطلاع وأخرج جامعه الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث، كان يحفظها، ولشدة تحريه لم يكن يضع فيه حديثا إلا بعد أن يصلّي ركعتين ويستخير الله، وقد قصد فيه إلى جمع أحاديث الرسول صلّى الله عليه وسلم الصحاح المستفيضة المتصلة دون الأحاديث الضعيفة، ولم يقتصر في جمعه على

([1]) أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، (د، ط)، (د، ت)، ص6.

([2]) أبو عبد الله محمد إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، دار الهدى، الجزائر، (د، ط)، 1992م. "مقدمته".

موضوعات معينة، بل جمع الأحاديث في جميع الأبواب واستنبط منها الفقه والسيرة، وقد نال من الشهرة والقبول درجة لا يُرام فوقها.

كما وقد استحسن شيوخ الإمام الجليل أبي عبد الله وأقرانه من المحدثين كتابه، بعد أن عرضه عليهم، وكان منهم جهابذة الحديث من قبيل الإمام أحمد بن حنبل وعلي بن مدني ويحي بن معين.

فشهدوا له بصحة ما في الجامع الصحيح من أحاديث، ثم تلقته الأمة بعدهم بالقبول باعتباره أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل وقد ورد على لسان شيخه محمد بن بشار الحافظ قوله أن حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعه بالري، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى [1]، أما عن سبب تأليف الجامع الصحيح: فقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه الموسوم بـــ "فتح الباري" أسبابا ثلاثة دعت الإمام أبا عبد الله البخاري رحمه الله تعالى إلى كتابه الجامع الصحيح.

أولها: أنه وجد الكتب التي ألفت قبله بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين والكثير منها يشمله التضعيف، فحّرك هذا همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب في صحته أمين.

أما عن ثانيها: فقد قوّى عزمه على جمع الأحاديث الصحيحة ما سمعه من أستاذه في الحديث والفقه وأمير المؤمنين إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهويه وساق بسنده إليه.

([1]) يحي بن شرف النووي: المنهاج في شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن، "مقدمة".

فقال البخاري: "كنّا عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعتم كتابا مختصرًا لصحيح سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. قال أبو عبد الله: فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الصحيح.

وثالثها: ما روي بالإسناد الثابت عن محمد بن سليمان بن فارس قال سمعت البخاري يقول:"رأيت النبي صلّى الله عليه وسلم وكأني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذّب بها عنه، فسألت بعض المعبرين فقيل لي أنت تذب عنه الكذب فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح (1).

فهذا كلّه يدل على همة هذا الإمام الجليل حيث أخذت هذه الأسباب منه مأخذها وبعثته للعمل على تأليف كتابه.

وقد سمّاه الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه هذا ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه فتح الباري (2).

كما ورد في كتاب علوم الحديث لأبن الصلاح (3). أنه سماه: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه.

والجامع الصحيح كما هو معلوم يشتمل على الأحاديث الصحيحة التي هي موضوع الكتاب كما يشتمل على ما في تراجم أبوابه من التعليقات والاستنباط وقد ذكر أيضا أقوال السلف وغير ذلك مما ليس داخلا في موضوع كتابه.

وبذلك جمع الإمام البخاري رحمه الله في كتابه الجامع الصحيح بين الرواية والدراية، بين حفظ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهمها.

---

(1) أبي الفضل شهاب الدين احمد ابن حجر العسقلاني: مقدمة فتح الباري، جامعة الملك سعود، ج2، (د، ط)، 1957م، ص84.

(2) نفس المرجع، ص84.

(3) عمرو بن الصلاح: علوم الحديث، دار الكتب العلمية، ط1، 2002م، ص8.

ولمّا أخرج كتابه أو مصنفه للناس وأخذ يُحَدّث به، طار في الآفاق أمره فهرع إليه الناس من كل فجّ يتلقونه عنه حتى بلغ من أخذه 100 ألف وانتشرت نسخه في الأمصار وعكف الناس عليه حِفظا ودراسة، شرحًا وتلخيصًا وكان فرح أهل العلم به عظيمًا. فقد قصد البخاري في صحيحه إلى إبراز فقه الحديث الصحيح واستنباط الفوائد وجعل الفوائد المستنبطة تراجم للكتاب، ولذلك فإنه يذكر متن الحديث بغير إسناد وقد يحذف من أول الإسناد واحد فأكثر، وقد يكرر الحديث في مواضع كثيرة من كتابه، يشير في كل منها إلى فائدة مستنبطة من الحديث.

والسبب في ذلك أن الحديث الواحد قد يكون فيه من العلم والفقه ما يوجب وضعه في أكثر من باب ولكنه غالبا ما يذكر في كل باب الحديث بإسناد غير إسناده في الأبواب السابقة أو اللاحقة. لقد تعرض الإمام أبو عبد الله البخاري للامتحان والابتلاء، وكثيرا ما تعرض العلماء الصادقون للمحن فصبروا على ما أوذوا في سبيل الله، ولقد حسد البعض الإمام البخاري لِما له من مكانة عند العلماء وطلاب العلم وجماهير المسلمين في كل البلاد الإسلامية، فأثاروا حوله الشائعات بأنه يقول بخلق القرآن ولذلك قصة يرويها أبو أمحمد بن عدي (1) فيقول: ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل البخاري لما ورد نيسابور اجتمع الناس عليه فحسده بعض من كان في ذلك الوقت من مشايخ نيسابور لما رأوا إقبال الناس إليه واجتماعهم عليه، فقال أصحاب الحديث إن محمد بن إسماعيل يقول اللفظ بالقرآن مخلوق فامتحنوه في المجلس فلمّا حضر الناس مجلس الإمام البخاري قام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أم غير مخلوق فأعرض عنه البخاري ولم يجبه، فقال الرجل يا أبا عبد الله فأعاد عليه القول فأعرض عنه، ثم قال في الثالثة فالتفت إليه الإمام أبو عبد الله البخاري وقال القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة

---

(1) عمرو بن الصلاح: علوم الحديث، ص8.

والامتحان بدعة، فشغب الرجل وشغب الناس وتفرقوا عنه وقعد الإمام البخاري في منزله.

وقالوا له بعد ذلك تراجع عن هذا القول حتى نعود إليك. فقال: لا أفعل إلا أن تجيئوا بحجة فيما تقولون من حجتي وبقي هؤلاء الحاسدون يرددون القول فقال الإمام أبو عبد الله مقولته المشهورة "القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر".

وقال من زعم من أهل نيسابور وقومس، والري وهمذان، وحلوان وبغداد، الكوفة والبصرة، ومكة والمدينة أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذلك فاني لم اقله إلا أني قلت أفعال العباد مخلوقة.

وقال أحمد بن سلمه: دخلت على البخاري فقلت يا أبا عبد الله هذا رجل مقبول بخرسان خصوصا في هذه المدينة وقد لجّ في هذا الحديث حتى لا يقدر أحد منا أن يكلّمه فيما يرى. فقبض الإمام على لحيته ثم قال: ﴿وأفوّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد﴾ (1).

ثم أردف ذلك بقوله اللهم إنك تعلم أني لم أرد المقام بنيسابور شرا ولا بطرًا ولا طلبًا للرئاسة. إنما أبت علّي نفسي في الرجوع إلى وطني لغلبة المخالفين وقد قصدني هذا الرجل حسدا لما آتاني الله لا غير.

ثم قال: يا أحمد إنّي خارج غدًا لتتخلصوا من حديثه لأجلي، فأخبر جماعة من أصحابه وخرجوا معه إلى باب البلد وبقي هناك ثلاثة أيام لإصلاح أمره.

أمّا لما قدم الإمام أبو عبد الله البخاري بخارى فقد نصبت له القباب على فرسخ من البلد واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبق أحد إلا استقبله ونثر عليه الدنانير والدراهم والسكر الكثير فبقي أيامًا بها. بعد ذلك كتب محمد بن يحي الذهلي إلى خالد

---

(1) سورة غافر: الآية 44.

بن أحمد أمير بخارى أن هذا الرجل قد أظهر خلاف السنة فقرأ كتابه على أهل بخارى فقالوا لا نفارقه فأمره الأمير بالخروج من البلد فخرج.

وقد قال أحمد بن منصور فحكى لي بعض أصحابنا عن إبراهيم بن معتقل النسفي قال رأيت محمد بن إسماعيل البخاري في اليوم الذي أخرج فيه من بخارى فتقدمت إليه فقلت يا أبا عبد الله كيف ترى هذا اليوم من اليوم الذي نثر عليك فيه فقال: لا أبالي إذ سلم ديني.

وقد روي عن بكر بن منير بن خليد بن عسكر أنه قال: بعث الأمير خالد ابن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل البخاري أن احمل إلي كتاب الجامع الصحيح والتاريخ وغيرهما لأسمع منك فقال لرسوله أنالا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فأحضر في مسجدي أو في داري وإن لم يعجبك هذا فإنك سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة لأني لا أكتم العلم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار".

فكان سبب الوحشة بينهما هذا، وقد كانت هذه ثاني محنة تصيب الإمام أبا عبد الله البخاري.

وتوفي الإمام أبو عبد الله البخاري سنة 256هـ [(1)]، ليلة عيد الفطر وقد بلغ 62 سنة وقد روي في قصة وفاته عدة روايات منها؛

أن محمد بن أبي حاتم قال سمعت أبا منصور غالب جبريل وهو الذي نزل عليه أبو عبد الله يقول: إنه أقام عندنا أياما فمرض واشتد به المرض، فلمّا وافى تهيأ

([1]) أحمد بن علي الخطيب: تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، (د، ط)، (د، ت)، ص6.

للركوب فلبس خفيه وتعمم فلمّا مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها وأنا آخذ بعضده ورجل آخذ معي يقوده إلى الدابة ليركبها فقال رحمه الله أرسلوني فقد ضعفت فدعا بدعوات ثم اضطجع فقض رحمه الله فسال منه العرق شيء لا يوصف فأوصى أن كفنوني في ثلاث أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة.

فلمّا دفن فاح من تراب قبره رائحة غالية أطيب من المسك فدام ذلك أيامًا. ثم علت سواري بيض في السماء مستطيلة بحذاء قبره.

أما التراب فكان الناس يرفعونه عن القبر حتى ظهر، بعدها خرج بعض مخالفيه إلى قبره وأظهروا التوبة والندامة ممّا كانوا شرعوا فيه من مذموم المذهب.

كما قد ورد عن محمد بن محمد بن مكي الجرجاني أنه قال سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسي يقول رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم في النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع فسلمت عليه، ورد علي السلام فقلت ما وقوفك يا رسول الله قال:" أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري".

فلمّا كان بعد أيام بلغني موته. وفي الساعة التي رأيت النبي صلّى الله عليه وسلم فرحم الله الإمام البخاري رحمة واسعة وجزاه الله خيرًا عن الإسلام والمسلمين وعن حديث الرسول مع العلم أنّه قد بلغت أحاديث البخاري بالمكرر سوى المعلقات والتابعات (7593) حديثا حسب ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي لأحاديث البخاري ويرى الحافظ لابن حجر العسقلاني أنّ أحاديث البخاري (7367) حديثا وفي البخاري أحاديث معلقة وجملتها (1341) وعدد أحاديث البخاري المتصلة من غير المكررات قرابة أربعة آلاف حديث [1].

([1]) ابن حجر العسقلاني: مقدمة فتح الباري، ج2، ص72.

فقد اعتنى العلماء والمؤلفون به، شرحًا له واستنباطا للأحكام منه وتكلمًا على رجاله وتعاليقه وشرحًا لِغريبهِ، وبياناً لمشكلات إعرابه إلى غير ذلك، وقد تكاثرت شروحه حتى بلغ عددها وعدد التعليقات عليه أكثر من 130 شرحًا وأشهرها:

* عمدة القاري في شرح البخاري للعلامة بدر الدين الحنفي (ت:855هـ).
* إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري لـ شهاب الدين الشافعي (ت:923هـ).
* الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري لشمس الدين الكرماني (ت:786هـ).
* شرح الإمام ناصر الدين الإسكندراني.
* شرح صحيح البخاري لأبي الحسن المالكي (ت:449هـ).
* التوشيح شرح صحيح البخاري للإمام جلال الدين السيوطي (ت:911هـ).
* التلويح في شرح الجامع الصحيح للحافظ علاء الدين الحنفي (ت:762هـ).

وقد أحصاها محمد بن أحمد الذهبي الكامل منها أو الناقص ب59 شرحًا والمطبوعة منها 11 وأما التعليقات على البخاري فقد بلغت 28 تعليقًا وكتب خمسة عشر عالمًا خلاصة للصحيح كل حسب مذاقه في حين كتب ستة عشر عالمًا مقدمة له.

إضافة إلى هذه الشروح وأخرى فقد أثنى عليه العلماء وتلقوه وصحيحه بالقبول فقد قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في مقدمة فتح الباري: وقد رأيت الإمام أبا عبد الله البخاري في جامعه الصحيح قد تصدى للاقتباس من أنوارها البهية [1]. يعني الكتاب والسنة) تقريرا واستنباطا وكرع من مناهلها الروية انتزاعًا ورزق بحسن نية السعادة فيما جمع حتى أذعن له المخالف والموافق وتلقى كلامه في الصحيح بالتسليم المطاوع والمفارق.

([1]) أبو حجر العسقلاني: مقدمة فتح الباري، ج1، ص29.

كما ورد على لسان الحافظ ابن الكثير في البداية والنهاية أن العلماء قد أجمعوا على قبوله وصحة ما فيه وكذلك سائر أهل الإسلام [1].

وقال ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى أن كتاب الجامع الصحيح أجلّ كتب الإسلام بعد كتاب الله عز وجلّ[2].

أما أبو عمرو بن الصلاح في كتابه "علوم الحديث" فقد ذكر أن أول من صنف في الحديث هما الإمام مسلم والإمام البخاري وأن كتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز ثم أردف هذا وقال أن كتاب البخاري أصح الكتابين وأكثرهما فوائد[3].

وقد كتب كذلك الإمام النووي في مقدمة شرحه لصحيح مسلم أن العلماء اتفقوا رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد الكتاب الصحيحان للبخاري ومسلم وقد تلقتهما الأمة بالقبول وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة[4].

كما وقد كان للحافظ علاء الدين مغلواطي في كتابه إكمال تهذيب الكمال أنه الإمام الجليل والحافظ لعلوم الحديث أبو عبد الله الجعفي البخاري صاحب الصحيح إمام هذا الشأن والمقتدى به فيه والمُعَوَل على كتابه بين أهل الإسلام [5].

كل هذه الآراء وغيرها كثير من أقوال وآراء كبار العلماء وأئمة الحديث في صحيح البخاري أمثلة وبيان علو درجته وتلقي الأمة له بالقبول فكان ثناء أئمة الإسلام

([1]) عماد الدين بن كثير: البداية والنهاية، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، مصرج1، (د، ط)، (د، ت)، ص14.

([2]) أبو حجر العسقلاني: فتح الباري وإرشاد الباري، ج1، ص29.

([3]) عمرو بن الصلاح: علوم الحديث، ص7.

([4]) الإمام محي الدين النووي: شرح مقدمة على صحيح مسلم، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعارف، بيروت، ط11، 1426هـ، ص15.

([5]) علاء الدين المغلواطي: إكمال تهذيب الكمال، تحقيق عبد الرحمن عادل وأبو محمد، دار الفاروق الحديثة، ج1، ط1، 2001م، ص516.

وحفاظ الحديث ثناءً عاطرًا ودافعاً لمواصلته الدرب والدفاع عن السنة المطهرة والعطرة مع العلم أن الإمام البخاري لم ينطلق في تصنيفه لجامعه الصحيح من فراغ بل يعتبر حلقة من سلسلة ممتدة إلى المصنفين الأوائل كمالك وابن جريج والأوزاعي وابن المبارك وغيرهم.

إلا أن الإضافة الجديدة التي أضافها الإمام البخاري تتمثل في جعل كتابه جامعًا لأنواع علوم الإسلام من عقيدة وفقه وتفسير ومغازي وسير وزهد ورقاق، وفضائل وآداب، بينما كان من سبقه يركز على علم من العلوم، أما السنن والجوامع والموطآت فكانت تهتم بما يتعلق بالأحكام الفقهية دون غيرها من العلوم وكذلك بالنسبة لكتب السير والمغازي فهي خاصة بهذا الفن ولا تتعرض لغيره، وكتب التفسير كذلك موضوعة لهذا الجانب فقط، أما الأجزاء الحديثية فكل جزء خاص بباب معين من أبواب العلم، بينما نجد الجامع الصحيح قد اشتمل على كل تلك العلوم وهذا السبب في تسميته بالجامع كذلك.

أما من سبق من العلماء فيجمع في كتابه الأخبار ولا يلتزم الصحة، فيذكر الصحيح، الحسن والضعيف وقد يكون فيها الموضوع أحيانا، ولكنّ الإمام أبا عبد الله البخاري اقتصر في جامعه على الصحيح فقط لهذا سمّاه الجامع الصحيح.

كما أن منهم من يجمع الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة، المتصل منها والمنقطع على حّد سواء، لكن الإمام أبا عبد الله خصص كتابه لما ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالأسانيد المتصلة، وإن كان يذكر فيه الآثار والموقوفات على سبيل التبع للاستشهاد، وقد حوى أخرى بالاستطراد.

ومنهم من كان يهتم بمزج الحديث بالفقه كما فعل الإمام مالك في موطئه وآخر يذكر آراء العلماء وفقهاء التابعين والأمصار إلا أن البخاري لم يهمل هذه الناحية ولم

يتوسع في ذكر فقه الحديث وإنما سلك طريقة مختصرة وهي أنه يضمن فقه الحديث في الترجمة حتى شاع على ألسنة العلماء أن فقه الإمام أبا عبد البخاري في تراجمه، ويعضد ما يذهب إليه بالآيات والآثار، مع كل هذا التدقيق فقد ترك إنتاجًا علميا غزيرًا يدل على علمه وتمكنه، وقد استفاد ممن قبله كما استفاد منه مَن جاء بعده فاقتدوا به من خلال مصنفاته واحتذوا حذوه، وساروا على طريقته، ولقد حفظت لنا كتب التاريخ والتراجم أسماء كتبه ومصنفاته مع العلم أنه رغم كل الجهود المبذولة للإبقاء على هذه المصنفات إلا أن الكثير منها فُقد منذ أمدٍ بعيد نذكر ما توفر منها: الأدب المفرد، التاريخ الكبير، التاريخ الأوسط، التاريخ الصغير، خلق أفعال العباد، الجامع الكبير، المسند الكبير، الأشربة، الهبة المبسوطة، المؤتلف والمختلف، العلل، الكنى، الفوائد، قضايا الصحابة والتابعين وأقوالهم، رفع اليدين في الصلاة، القراءة خلف الإمام، بر الوالدين، الضعفاء، الرد على الجهمية، أسامي الصحابة الوحدان.

بالإضافة إلى كل هذه الآراء والأقوال التي أثنت بجهود الإمام أبي عبد الله البخاري، فقد تبارت القرائح والأقلام في إنشاء الشعر ونظمه بشأن الصحيحين ومديحهما.

ومما قيل في الإمام الجليل أبي عبد الله البخاري قصيدة كتبها ابن عامر الجرجاني والتي يقول فيها:

صحيـــح البخاري لو أنصفوه ... لمـــا خط إلا بمـــاء الذهـــب

هو الفرق بين الهدى والعمى ... هـــو الســـر دون العنا والعطب

أسانيـــد مثـــل نجوم السماء ... أمـــام متون كمثـــل الشهـــب

به قام ميزان دين النبي(ص) ... ودان له العجم بعد العـــرب

حجاب من النار لاشك فيـــه ... تميّز بين الرضـــى والغضب

وستر دقيق إلى المصطــفى ... ونصب مبين لكشف الريـــب

فيا عالمًا أجمع العالمــون ... على فضل رتبته في الريـــب

سبقـــت الأئمة فيما جمعــت ... وفزت على رغمهم بالقصـــب

نفيت الضعيف مـــن الناقلين ... ومن كـــان مُتهمـــا بالكــذب

وأبرزت في حسن ترتيبـــه ... وتبـــويبـــه عجبًـــا للعجـــب

فأعطاك مولاك ما تشتهيـــه ... وأجزل حظــك فيمـــا وهـــب [1].

ويقول فيه السيد أبا بكر بن شهاب العلوي الحسيني الحضرمي في موسوعة أدب الطف:

قضيـــة أشبـــه بالــمرزئـــة ... هــذا البخاري أمـــام الفئة

بالصادق الصديق ما احتج في ... صحيحه واحتج بالمرجئة

ومثل عمران ابن حطـــان أو ... مروان وابن المرأة المخطئة

مشكلـــــة ذات عـــوار إلـــى ... حيرة أرباب النهي ملجئـــه

وحـــق بين يممتـــه الـــورى ... مغذة في السير أو مبطئه

إن الإمام الصادق المجتنـــى ... بفضلـــه الآيُ أتت منبئـــه

أجـــل من في عصره رتبـــة ... لم يقتر فـــي عمره سيئة

قلامـــة مـــن ظفـــر إبهامه ... تعدل من مثُل البخاري مئه [2].

([1]) ابن حجر العسقلاني: مقدمة فتح الباري وإرشاد الساري، ص88.

([2]) جواد شبّر: أدب الطف أو شعراء الحسين، مؤسسة التاريخ، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 2001م، ص52.

رحم الله الإمام أبو عبد الله البخاري رحمة واسعة، وأجزل له العطاء والمثوبة، فقد كانت سيرته منارا يهتدى بها، وعلمه نبراسا ينير درب من أراد أن يقتدي به ويسير على منواله في تحريه الدقة والأمانة. فقد كان له الفضل والعلم، المعرفة والمكانة، وكان عالما فذا وقد حق له ذاك التقدم في تلك المرتبة وعد من أصحاب الاجتهاد، وإن كان بينه وبين غيره مخالفات أصولية فان هذا لا يخرجه عن المناهج الجادة والمعتبرة.